

تأملات في أقوال المفسرين والمحدثين في وصف ظاهرة الانتقاص من العلماء وسبل علاجها

عبد الرحيم الشريف

أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن، جامعة الزرقاء الأردنية

المختص: تسلط هذه الدراسة الضوء على ظاهرة بدأت تستشري في أوساط طلبة العلم الشرعي، ومنهم انتقلت إلى عموم الناس، وهي ظاهرة الانتقاص من قدر أهل العلم، ومن ثم شتمهم والسفن في سلامة ديارهم. وقد استندت في هذه الدراسة مناهج البحث الوصفي لبيان الظاهرة، ثم المنهج الاستقرائي لاستقراء أقوال أهل العلم الذين تناولوا سبل الوقاية والعلاج لتلك الظاهرة. وقد أوضحت الدراسة مدى تنبه علماء المسلمين إلى خطر تلك المشكلة، ووضوح مناهجهم في تحديد الأسباب المسببة على الوقاية منها قبل حدوثها، وعلاجها بعد حدوثها، وعلى طلبة العلم الشرعي في صبرنا الحالي الانتفاة من تلك المنهج لعلاج هذه الظاهرة المنتشرة في زماننا.

كلمات مفتاحية: الانتقاص من علماء، قبول الآخر، احترام المخالف.

تاريخ استلام البحث 2010/2/2، وتاريخ قبول البحث 2010/9/1

Reflections on Modern Commentators' Views Regarding the Phenomenon of Disparaging the Scholars of Religion and the Methods to Treat it

Abed Al-Rhim Al-Shareef

Assistant Professors, Zarqa University, Jordan

Abstract: This study highlights the act of disparaging scholars of religion. This phenomenon has recently begun to spread among the students of religious sciences, and of whom has moved to ordinary people too. In many cases, such acts may lead to unexpected consequences such as uttering profanity on the scholars and challenging the integrity of their intentions. Relied in my study on the methods of descriptive research to demonstrate the phenomenon, and then I relied on the method of inductive extrapolation of the statements of the most prominent scholars who have embarked upon the methods by which this phenomenon can be avoided and treated. The study showed to which extent of Muslim scholars have been aware of the risk of this problem, and it showed how they have followed clear approaches that identify the reasons that help preventing this phenomenon before it occurs, and how to act with regard to it after it occurs. Thus, students of religious sciences in our time have to take advantage of these approaches in dealing with widespread phenomenon.

Keywords: Disparaging the scholars, the acceptance of others, and respect for the offender.

Received February 2, 2010; accepted September 1, 2010

مقدمة

بالانتقاص من قدر العلماء، وعلت الأصوات المسببة للمخالف، واعتلى الطير من أين له هم موى الطير في انداء وجملة الشريعة مما حيا القربة الخصبة لنداء التكبير والتبنيح عند أئني خطأ. فجاءت هذه الدراسة لتتناول جهود كبار أهل العلم لبيان وصف تلك البدعة وخطورتها، ومن ثم توضيح أبرز أسبابها الوقائية منها، ومركبات علاجها. وذلك بالاستناد إلى أقوال أهل العلم من السلف الصالح، وتخصن تبين حرصهم على أخوتهم وحرفهم وإنصافهم وتسامحهم فيما بينهم، وتبحث على حسن الظن بهم، بهدف الاقتداء بهم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
قد انتشرت بين بعض طلبة العلم الشرعي في عدد من جامعاتنا ومراكزنا الفرعية بدعة الغرض من قدر السادة العلماء، والانتقاص من إخوانهم طلبة العلم، والظن في سمة ديارهم.
ومن العجيب صدور تلك المواقف من أشخاص يقولون لإهم يسدون على منهج السلف الصالح، فامتألت الفترات والكتب

في ذلك.

واقصص السلف الصالح أهمية لا ينبغي أن تغفل في بيان أسباب أي مرض من أمراض الأمة وعلاجها، والمسائل التي يحتارونها في إصلاح معاندهم ومعادهم.

قال أبو بكر بن داود - رحمه الله - : " كنت عند محمد بن علي الكتاني أبو بكر بسط: ليح الفقة من مذكرة الحكايات؟ فقلت: الحكايات جد من جود الله يفرى بها أجدان المردين.

فقلت له: هل لهذا من شاهد؟

قال: نعم، قال الله سبحانه وتعالى: "وَكُنَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ" [هود: 120] 01.4

مشكلة الدراسة

إن معرفة الوصف الدقيق لمشكلة الانتفاص من قدر السادة العلماء في أوساط المبتدئين من طلبة العلم الشرعي، وبيان خطورة هذه المشكلة، وكشف الأسباب المؤدية لانتشارها، كل ذلك يسهم في تشخيص المشكلة تشخيصاً دقيقاً، والوقاية منها قبل حدوثها، وعلاج المصابين بها.

ولما كان العلم ثروة يبنى فلاح على سابقه، جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على مناهج علماء التفسير والتحديث التي سلكوها لبيان وصف تلك المشكلة وأسبابها وعلاجها.

أسئلة الدراسة

أبرز الأسئلة التي ستجيب عنها هذه الدراسة:

1. ما أبرز معالم ظاهرة الانتفاص من قدر العلماء في أوساط طلبة العلم الشرعي؟
2. ما أبرز أسباب نفوذ ظاهرة الانتفاص من العلماء وانتشارها؟
3. كيف عالج المنورون والمحدثون تلك المشكلة؟

أهداف الدراسة

1. وصف ظاهرة الانتفاص من العلماء بين أوساط طلبة العلم الشرعي.
2. توضيح أسباب انتفاص عدد من طلبة العلم للعلماء.
3. بيان أبرز أقوال أهل العلم في علاج ظاهرة الانتفاص من مكانة العلماء.

محدّدات الدراسة

تقتصر هذه الدراسة على المحدّدات الآتية:

1. ذكر أقوال أهل العلم حول التعامل مع ظاهرة الانتفاص من قدر العلماء.
2. بيان مواقف أشهر العلماء الذين لديهم قول عند عامة طلبة العلم، وخاصة في الأوساط التي انتشرت فيها تلك الظاهرة.
3. الإكثار من الأمثلة دون إطناب في التصيل والتطوير؛ عند استرفاته لدراسة السابقة.

الدراسات السابقة

هذا الموضوع يحرم بقوله السلف والخلف في أكثر من كتاب، لكن أغلب الدراسات السابقة بحثت عن أسباب الخلاف والحول من ناحية النظرية التفسيرية، مينة آداب الحول في الكتاب والسنة، وأمثلة على الحول في القصص القرآني؛ إذا ذهب على تلك الدراسات للكلام النظري، بخلاف هذه الدراسة التي ركزت على الجانب التطبيقي العملي، ومن الدراسات المعاصرة القريبة من موضوع الدراسة:

- أحب الحول وقواعد الاختلاف، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي حول مواقف الإسلام من الإرهاب، الذي عقد في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، إعداد الدكتور: صر عبدالله كمل، وتحدث فيه عن آداب الحول النفسية والعلمية والفطرية والضرورية العلمية للاختلاف.
- أحب الخلاف في الإسلام، سلسلة كتب الأمة، قمار، من إعداد الدكتور مة جابر العلواني، وتحدث فيه عن بيان حقيقة الاختلاف وتلخيصه وأسباب ظهوره.
- نجوم العلماء بسومة، للدكتور ناسر السمر، والبحث في أصله شريط مغرغ منشور على شبكة الانترنت، تحدث فيه عن مكانة العلماء وفضلتهم، وحكم جبينهم، والآثار المعنوية على التوعية بهم.
- ولا يختلف عنها كتب ودراسات أخرى مثل: راقاً بأهل السنة يا أهل السنة لعبد المحسن السباد، وتصنيف التمس بين الظن واليقين لبكر أبو زيد وموقف العقلاء من زلات العلماء والدعاة للدكتور أحمد بن عبد الكريم الشريف، ومنهاج أهل السنة في ترويم الرجل لعبد المقدم، وضوابط نقد العلماء والدعاة لخالد جعفر.

وسبق بيان أن تلك لدراسات يخلب عليها الجانب النظري من حيث التصيل وإيراد المسائل، بينما هذه الدراسة طويت بالجواب التطبيقي العملي؛ لأنه أدى للاقتداء من قبل ثلاثة المصنفين من الدراسة، فهي تقدم نماذج صالحة يقتدى بها، كما أن هذه الدراسة ذكرت أمثلة ومفصلاً أخرى لم يتم بيانها في الدراسات المعاصرة السابقة.

وهذا الفرق الرئيس بين الدراسة والدراسات السابقة لا يقتصر من درها؛ ليس من ترويم التصنيف العلمي اختراع محرم حصراً بل

يجوز أن يكون منه: جمع مفرق، أو اكتمال النفس، أو اكتمال جسم، أو تهذيب مطول، أو ترتيب مختلط أو تعيين مبهم، أو تعيين خطأ.^(٩) وهذه الدراسة عذبت بترتيب ما اختلط في كتب المفسرين والمحدثين من أقوال ومواقف تناولت تشخيص ظاهرة الانقراض من العلماء وتطيل أسبابها، وتكر علاجها.

منهج البحث

استخدم الباحث منهج البحث التاريخي لبيان الظاهرة، ثم المنهج الاستقرائي لاستقراء أقوال أبرز أهل العلم الذين تناولوا سبل الوقاية منها وعلاجها.

المطلب الأول

وصف الظاهرة وبيان خطورتها

في زماننا المعاصر أصبح عدد متزايد من طلبة العلم الشرعي ينقصون من قدر العلماء ويضعون من مكانتهم، ويضعون في سلامة دينهم، وفي تمكنهم من العلم الشرعي. ومن الذين حذروا من خطر تلك الظاهرة: د. محمد الصلاحي، قال: تشهد عصرنا حملة غربية وظاهرة عجيبة ألا وهي الاعتداء على هبة العلماء المملكون، وطعنهم بخباير الزيف والضلالة، وقد شهدت الصحف والمجلات، والكتب والمقالات، وقاعات المؤتمرات والحفلات نماذج كثيرة من تلك الصلوات، فجلبت على أمة الإسلام أبلغ الأضرار، فشقت الشمل المشقة، وقرقت الجمع المفرق، وعصفت لثقل الغفار.. فمن بين أمة الإسلام إذا طعن في علمهم سبيل شهاب أحتفت، لا يصدرن التلاوة، ولا تصليهم لهم لغة، وليس لهم باح طويلة ولا قصيرة في كثير من علوم الشرع^(١٠) إن أسلوب المسلمين في العلماء قراء بين لأعداء الإسلام، لأنه ينشئ جيلاً بلا قناعة، وهل رأيت جيلاً بلا قناعة كذا قلح؟^(١١)

وهذا لا يعني الدعوة إلى التصيب لمشيخ أو مذهب، وعدم النقد لذاتي، والحوار والمنظرة والمنقشة بين العلم والمسلم، لذا يقول محمد المختار الشنطلي: وليس -والله- من السبب أن يختلف العلماء وأن يتكلموا ويتناقشوا، هذا لا يجب فيه ولا حرج، ولكن المصيبة كل المصيبة تحول حالات ممن لا يغالون الله ولا يثقونه في نقل الأحاديث ونقل الشذاعات بين طلاب العلم حتى أقعدوا ذات بينهم، والله الموعود، والله لنسرن على الإنسان ساعة يعلم ما الذي أراد بهذه التصرفات التي يفعلها، وليعلمن توبته وقصدته في سكرة الموت، أو في ظلمة القبر، أو بعد زلة الصراط، يعرف عندها هل يريد وجه الله أو يريد حظوظ نفسه.. كم من شاب يُعْضِي لُلمه وإياليه في النقد والتجريح بغير الحق، ولو سألكه عن صحة وضوء من توسأ وتم يتضمن لُما علم لها جواباً، فيبغني الإنسان أن يشغل لُما يظنه عن ما لا يخفيه، وقد ورد في الخبر أنه: لا تقوم الساعة حتى يلعن آخر

هذه الأمة أولها^(١٢)، وإن يكون اللعن حتى يكون الاحتظار والازدراء، وهذه قوة سحيقة أن يترس الشباب على الحق على الدعاة والعلماء الأحياء، ثم ينتقل اللعن إلى خلف الأمة، ثم تحرق كتبهم، ويكون ما أخبر به النبي ﷺ الشر وعليه، وعندما تقوم الساعة فلجنة طلابها، ولنار طلابها -والله-، وتسلل الله أن يجيبنا هذه المهالك والمزاق^(١٣).

الخطورة في هذه القضية لاحتلال ظهور بذور فكر غريب، يلحق في منهج أهل السنة وفهمهم للولاء والبراء، لكن دعاته قريب من فكر المخرج، وصفهم عبدالرحمن عبدالخالق بـ "المخرج المسلمين ممن يترجون القرآن ولا يتقنون آياته، ويحتلون الحديث ولا يدرون معانيه، وما زال المسلمون إلى يومنا هذا يطلع عليهم بين الحين والآخر من يزعم نصر الدين وقول كلمة الحق فيترك أهل الأرض والفكر والإباحية والكفر، ويُسل قلمه ويسلته في المسلمين. بل وجدنا منهم من لا يهتم إلا مشاعلة الدعاة إلى الله، والتعرض لهم بالسب والتشهير، وتكليف الرسائل في بيان مثالبهم -في زعمهم-". ولعل هذه الأمور التي يرونها مخالفت -ربما هي مخالفت- يستطون أعراضهم، ويظنون حرماتهم، ويفتخرون عن أسرارهم. ولا يجنون لهم ديناً في الأرض إلا تفرق جماعاتهم، وتزق وحدتهم وملء صدور الناس بكرهيتهم، وممثلة لفساد النفس عليهم، وهذا من أكبر الأزمات^(١٤).

وخطر الخط من كرامة الدعاة العلميين قد أنه أهدأنا، وجعلوا معه ثروة يملكون فتحها لاخرقار حصن الإسلام. هذا ما ورد في الترتيب السليح حشر من برتوكولات حكماء صهيون: لقد علينا عذبة صليمة بالخط من كرامة رجال الدين من المسلمين (أي غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نجعلنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون لغة كورد في طريقنا، وإن نقود رجال الدين على الناس ليشعروا يوماً يوماً^(١٥).

إن هذا الحال في التفكير بعض طلبة العلم الشرعي يسمح بأن ينتج جيلاً جديداً من الدعاة، يخشى الداعية محمد أحمد الرائد أن يتحولوا إلى: دعاة فضوليين، يكثر لغتهم ويقل عملهم، وبالتدريج التصيغ مجالسهم بصيغة الغيبة، وخشونة الأعطال، حتى تكون تهورات الإنسان أمراً مستباحاً، وتقتل فضائل المجالس التي شهدت بها قواعد التربية الإيمانية اختيلاً، ويصبح الداعية المشارك فيها قليل الاحترام لعناصر الوصول الأولى، كثير الجرأة عليها، وكثيراً إلى سوء الظن والغرض، طويل النقاش، حريص التحدي.

وليس ذلك غرت المؤمنين أبدأ، ولا مستهم الذي ورثناه إنا ورثنا الماء وخلف اللسان، ولعمر الكبر، وتبديل السفيق، والتحول الحصن وترجيح العذر، وجمال القطة، والاستغفار للذين سبونا بالإيمان، وتكرار الدعاة للمري والمهادي^(١٦).

وسبق للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله - أن يقول: "وبهذا تعلم أن تلك البادرة الملمونة من تكفير الأئمة: الفوري، وابن دقيق العيد، وابن حجر العسقلاني رحمهم الله تعالى - أو الخط من قدرهم، أو أنهم مبتدعة ضلال، كل هذا من عمل الشيطان، ويجب ضلالة وإضلال، وفسد وإفساد. وإذا جرح شهيد الشرح، جرح المشهود به، لكن الأحرار لا يفتنون ولا يثبتون".⁽¹³⁾

إن ظاهرة الانقراض من العلماء واسعة منتشرة يستطيع لمسها أي شخص يجلس بين طلبة العلم الشرعي، سواء كان في مجلس طلب العلم أم في الجامعات والمعاهد الحديثة وملحقاتها.

المطلب الثاني

أسباب ظهور الظاهرة

لنشوه تلك الظاهرة أسباب عدة أبرزها:

أولاً: الجهل بسنة الله في اختلاف البشر: خلق الله الناس مختلفين، وجعل لكل إنسان شخصيته المستقلة وتفكيره المتميز، وميوله الخاصة، فلكل منا بصمته الفريدة التي لا يشاركه فيها أحد.

لذا فمن البحث محاولة صهر الناس في قالب واحد، ومحو كل اختلاف بينهم، فهذا أمر مخالف للنسرة التي فطرهم الله عليها، لأن الاختلاف سنة كريمة اقتضتها الحكمة الإلهية، قال الله: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُ مُتَفَاكِهِنَّ" [هود: 118]. قال الحسن البصري رحمه الله: "لا يزال الناس بخير ما تنافروا، فإذا تساوا هلكوا".⁽¹⁴⁾

وبذا تبين حكمة الله في تباين أهليهم للناس وعلبتهم وميولهم، فهذا التباين يعطي الحياة تنوعاً تطلبه مقتضيات تيسير الحياة على الأرض، وتنوع مشارب الخير، فكل ينظر إلى الحق من زاوية، لتتكامل زوايا النظر، وهناك تكون النظرة المتكاملة أقرب إلى التصواب.

ثانياً: دعوى احتكار الحقيقة: يرى بعض طلبة العلم أن سلامة نية، والتزام القروض والسنن، وحضوره عنداً من مجالس العلم، وحفظه لبعض الآيات والأحاديث والمقرون.. تجعله معصوماً عن الخطأ، ومن ثم فكل من يخالفه هو المخلى. وهذا يخالف ما عليه السلف الصالح، ومما ورد في ذلك:

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: "ما رويت أحداً كل خطأ من يحيى بن سعيد، وقد أخطأ في حديث.. ومن يرى من الخطأ والتصحيح".⁽¹⁵⁾

وقال المزني رحمه الله: "لو عرض كتاب بغير مرة لوجد فيه خطأ، أبي الله أن يكون كتاباً كاملاً إلا كتابه".⁽¹⁶⁾

وقال الترمذي رحمه الله: "إنما تفتشك أهل العلم والحفظ والأتقان، والتثبت عند السماع، مع أنه لم يسلم من الخطأ والغلط كبير أحد من الأئمة مع حفظهم".⁽¹⁷⁾

قال ابن القيم رحمه الله: "وكيف يُصم من الخطأ من خلق ظاهراً جبرلاً، ولكن من حُت خلطته أقرب إلى الصواب من عتت إصابته".⁽¹⁸⁾

وقال القاضي الفاضل عبدالرحيم البستاني في رسالة للصادق الأسفهانى رحمه الله: معتزلاً عن كلام استوركة عليه: "لا يكتب إنسان كتابه في يومه، إلا قال في يومه: أو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان أفضل، ولو نُقص هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العيوب، وهو ذل على استيلاء النفس على جهة البشر".⁽¹⁹⁾

وعلى هذا فالخطأ موجود مع وجود الإنسان، والإنسان مجبور على الخطأ، وحسنه يبين لنا أننا كنا نؤثر خطأ.

ثالثاً: استعجال الخصومة لشخص لتكفاه بسماع رأي بعض الناس فيه: لا يكاد يخلو مجلس من مجالس طلبة العلم من نقل لأقوال المادة العلماء، ولعل بعضهم يكتب بما يسمع في تلك المجالس أيدي حكمه على هذا العالم أو ذاك، دون التثبت.. وهذا يخالف ما جاء في الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح.

قال تعالى: "وَلَا جُنَاحَ لَكَ بِنَزْوِ الْأَمْنِ أَوْ الْأَخْبَارِ فَادْعُوا بِهِ لِلنَّاسِ" [83].

يقول ابن كثير رحمه الله - إن معنى الآية للكرامة: "يُكَلِّمُ عَلَى مَنْ يَدْعُو إِلَى الْأَمْرِ قَبْلَ تَحْقِيقِهَا، فَيُخْبِرُ بِهَا وَيَشْهَرُهَا، وَقَدْ لَا يَكُونُ نَهْجاً صَحْاحاً".⁽²⁰⁾

وقال القاسمي رحمه الله: "وفي هذه الآية تأنيب لكل من يحدث بكل ما يسمع - وكفى به كذباً - .. وما أعظم العسفة في نهج العلماء بكل ما يسمعون من أخبارهم".⁽²¹⁾

جاء في الحديث الصحيح: "إن الله عز وجل كره لكم قولاً..".⁽²²⁾

والمقصود به: (قول وقول): "الخوض في أخبار الناس، وحكايات ما لا يعني من أخبارهم وتصرفاتهم".⁽²³⁾

ومن معاني (قول وقول): "حكاية أقوال الناس والبحث عنها، كما يقال: قال فلان كذا، وقيل عنه كذا". مما يكره حكايته عنه".⁽²⁴⁾

وقد عدَّ ابن حبان رحمه الله - عدم التثبت من صفات الحمقى الذين يجب الإبتعاد عنهم، من علامات الحق التي يجب السالك تفحصها من خفي عليه أمره: سرعة الجواب، وتركه للتثبت..".⁽²⁵⁾

ومن المهم تذكُّر قول له مصطفى السباعي رحمه الله: "والجواهر دائماً أخرج إلى إنباء الظن من إنبائه.. فلا تصدق كل

مَا يَقَالُ وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ كَلَفٍ لَهُ، حَتَّى تَسْمَعَهُ مِنْ شَاهِدٍ بِهِدَةٍ، وَلَا تَصْدُقَ مَنْ شَهِدَ بِحُجَّتِهِ حَتَّى تَتَكَلَّفَ مِنْ تَكَلُّفِهِ أَيْمَانًا وَشَاهِدًا، وَلَا تَصْدُقَ مَنْ تَكَلَّفَ شَيْئًا بِشَهِادٍ حَتَّى تَتَكَلَّفَ مِنْ يَرَاهُ وَخَلُوهُ عَنِ الْغَرَضِ وَالْهَوَىٰ. (24)

وَبِنَاءٌ عَلَى مَا سَبَقَ يَبْغِي الْعَلَلُ أَنْ لَا يَصْدُقَ كُلُّ مَا يَسْمَعُ، وَإِنْ سَلَفَ هَوَىٰ أَوْ قَبْلَهُ فِي يَزِنُ كُلَّ الْأُمُورِ بِمِزَانِ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ. وَحَتَّى وَإِنْ صَدَقَ مَا سَمِعَ فَلَا يَسْرُخُ لَهُ أَنْ يَنْقَلِبَ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّفًا، لِأَنَّ الْعِلْمَ لَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا وَإِلَّا فَطَوِيهِ أَنْ يَصْدُقَ. (25)

رَابِعًا: تَكَلُّفُ مَلِكَةِ الْعِلْمِ كَلَامَ الْاِكْرَانِ مِنْ عِلْمَانِهِمْ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ: يَدُورُ فِي بَعْضٍ مَجْلِسِ مَلِكَةِ الْعِلْمِ نَقْلُ كَوْنِ كَبِيرِ الْعُلَمَاءِ تَطْعُنَ فِي نَظَرَاتِهِمْ، وَهَذَا أَمْرٌ تَكْبَهُ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا، وَحَرَصُوا أَنْتَدَّ لِلْحَرَصِ عَلَى مَنَحِ مَلِكَةِ الْعِلْمِ مِنَ الْخَوَاضِ أَيْمَانًا، وَلَمْ يَمْنَحْ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْأَكْمَةِ بِكَثَرٍ مِنْ كَلَامِ الْاِكْرَانِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، وَهَوُوا مَلِكَةَ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَنْبَغِيَ عَلَيْهَا أَحْكَامُهُمْ عَلَى الْمَشَائِخِ وَالْعُلَمَاءِ، وَلَا يَتَّخِذَ بِهَا فِي تَجَرُّعِ رِوَاةِ الْحَدِيثِ.

قَالَ السَّيْكِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "يَكُنْ لَكَ ثَمَّ لَيْكُ أَنْ تَصَلِّيَ إِلَى مَا لَتَقُ بَيْنَ أَبِي حَنِيفَةَ وَالْقَوْرِيِّ، أَوْ بَيْنَ مَالِكٍ وَابْنِ أَبِي نَجْبٍ، أَوْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ سَالِحٍ وَالْقَسْبِيِّ، أَوْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ حَنِئِلٍ وَالْعَارِثِ السَّمْلِيِّ رَحِمَهُمْ جَرًّا - إِلَى زَمَنِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَالْقَوِيِّ ابْنِ السَّلَاحِ، فَإِنَّكَ إِنْ شِغِلْتَ بِذَلِكَ خَفَتْ عَلَيْكَ الْهَلَاكَةُ فِي الْقَوْمِ أَلَمَةُ أَعْلَامٍ وَكُلُّ مَنْهُمْ مُعَامِلٌ، وَرَبَّمَا لَمْ يَلْهُمُ بَعْضُهُمْ قَلْبُ لَدَا إِلَّا الْقُرْصَى جَنَّهُمْ، وَالسُّكُوتُ صَا جَرَى بَيْنَهُمْ". (26)

وَقَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ: "كَلَامُ النَّظِيرِ وَالْاِكْرَانِ يَبْغِي أَنْ يُكْتَلَفَ وَيُتَكَلَّفَ بِهِ". (27)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "كَلَامُ الْاِكْرَانِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ لَا يُجْعَلُ بِهِ لَا سِوَمَا إِذَا لَاحَ لَكَ أَنَّهُ لِحَادِثَةٍ أَوْ لِمَذْهَبٍ أَوْ لِحَدَثٍ، وَمَا يَنْجُو مِنْهُ إِلَّا مَنْ حَصَمَ اللَّهُ، وَمَا حَمَلَتْ أَنْ حَصَرَ مِنَ الْأَصْغَرِ سِلْمَ أَمَلِهِ مِنْ ذَلِكَ سِوَى الْأَكْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ. وَلَوْ شِئْتَ لَمَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ كَرَارِيْسَ، اللَّهُمَّ فَلَا تَجْعَلْ فِي الْقُرْبَانِ غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا". (28)

وَقَالَ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي الْوَدَّادِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ: "يُؤْمِنُ قَوْلُ رِييعةَ بِهِ، فَإِنَّ كَانَ بَيْنَهُمَا جَدَلٌ ظَاهِرٌ". (29)

وَبِنَاءٌ عَلَى مَا سَبَقَ فَلَا يَسْرُخُ لِمُسْتَقَرِّ مَلِكَةِ الْعِلْمِ أَنْ يَخْرُجُوا بِمَا خَافُوا بِهِ كِبَارَ الْعُلَمَاءِ، لِأَنَّ الْأَمْرَ لَا يَحْتَمِلُ ثَبَتَهُ وَالْإِسْقَاطَ لَوْ لَتَفَعَّلَ بِخَاصَّةٍ نَفْسُهُ أَنْ يَجِدَ رَقْعًا نَقَلَ كَلَامَ الْآخَرِينَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، وَاللَّهُ - أَنْ يَسْأَلَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ قَوْلِ فُلَانٍ فِي فُلَانٍ بَلْ سَبَّحْتَكَ عَنْ إِيْمَانِكَ وَصَلَّيْكَ.

خَامِسًا: الْجَوْلُ بِأَوَّلِ آدَابِ النَّصِيحَةِ: السَّرِيَّةُ بِمَعَ عَدَمِ التَّكْثِيرِ: كَقَدَّ

يَسْمُرُ مَلِكُ الْعِلْمِ الْكُتَيْبَةَ عَلَى خِطْرِ رَأْيِ شَيْخِهِ أَوْ الْإِسْلَامِ إِلَى زَلَّةٍ لَهُ، أَوْ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ كِبَرَةِ حَصَلِهِ.. كُلُّ ذَلِكَ لَهُ مَسْوَغَاتُهُ، وَهُوَ بِمَا لَا يَأْسُ بِهِ وَلَكِنْ يَشْرُطُ أَنْ يَكُونَ بِالْمَعْرِفَةِ مَعَ عَدَمِ التَّحْقِيقِ، وَيَحْذَرُ الَّذِينَ يَطْلِقُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِسَبِّ أَهْلِ الْعِلْمِ وَرَشْمِهِمْ وَانْتِقَاصِهِمْ مِنْ أَنْ يَصِيْبَهُمْ مَا وَرَدَ فِي قَوْلِ اللَّهِ: "لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعُوا أَنْ يُؤْتَى بِكَلِمَةٍ مِنْهُ فَتَعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَقُّ" (الأحزاب: 36).

وَلَهُ لَعْلَهُ يَكُونُ مِمَّنْ يَحْرَبُ اللَّهَ - كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقَاسِي: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِخَرْبِهِ". (30) وَالْأَوَّلِيَاءُ هُمُ الْعُلَمَاءُ، إِذْ مَعَالَى اللَّهِ أَنْ يَنْقُذَ وَلِيًّا جَاهِلًا، فَ"عَنِ الْإِيمَانِ لِلْجَاهِلِينَ أَيْ حُدُوثُهُ وَالشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنَهُمَا - قَالَا: إِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَلَاءُ أَرْبَابًا لِلَّهِ، فَيُؤَيِّدُ بِهِ". (31)

مَرَادُ طَلَبِ الْعِلْمِ وَغَايَتُهُ (الْحَقُّ)، أَمَّا الْجَدَلُ بِصَوْتِ عَالٍ أَمَامَ الْمَلَأِ بِمَنْقَسَا قَدَرِ الْمُخَالَفَةِ لِفَعْلِيًّا مَا يَدُلُّ عَلَى حِطِّ الْقَلْبِ، قَالَ السَّيْكِيُّ بْنُ خَالِبٍ الْوَرَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "قَالَ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنِئِلٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَكُنْ لِي الْمَجْلِسَ لَيْسَ فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ السُّنَنِ يَجْرِي، فَيَتَكَلَّمُ مَتَكَلِّمٌ مَتَكَلِّمٌ أَرُدُّ عَلَيْهِ: قَالَ: لَا تَنْصَبْ نَفْسَكَ لِهَذَا، أَخْبِرْ بِالسُّنَنِ وَلَا تَخَافِمْ، فَأَعَدَّتْ عَلَيْهِ الْقَوْلَ، فَقَالَ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا مَخْصَصَةً". (32)

وَقَالَ مَرْتَضَى الزَّيْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ - شَارِحًا حَالَاتٍ مَشْرُوعَةٍ غِيَاةَ الْفَلَسْفَةِ: "إِنَّ ذِكْرَ الْفَلَسَفَةِ بِمَا فِيهِ لِيُخْبِرَهُ الْفَلَسُفِيُّ مَشْرُوطٌ بِقَدْرِ الْإِحْتِسَابِ، وَإِلَا فَنَصِيحَةُ نَفْسًا لِلْإِغْوَارِ بِهِ، فَمَنْ ذَكَرَ لِحَدَثٍ مِنْ هَذَا السَّبَبِ تَفَعُّلًا لِنَفْسِهِ، أَوْ انْتَقَالًا لِنَفْسِهِ، أَوْ لِنَفْسٍ ذَلِكَ مِنَ الْحَفُوظِ الْفَنَاسِيَةِ، فَهُوَ أَلَمٌ، صَرُوحٌ بِذَلِكَ تَاجِ الدِّينِ السَّيْكِيِّ عَنْ وَادِّهِ لَقِيَ الدِّينَ.. قَالَ تَاجُ الدِّينِ: كُنْتُ جَالِسًا بِدَهْلِيزِ دَارِهِ فَاقْبَلْتُ كَلْبًا، فَقُلْتُ: أَكْسَا كَلْبٍ بِنَ كَلْبٍ، فَزَجَرَنِي وَالدِّيُّ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ. فَقُلْتُ: لَيْسَ هُوَ كَلْبِي بِنَ كَلْبٍ؟ قَالَ: شَرَطْتُ الْجَوَارِزَ عَنَّمُ لِحَدَثِ الْقَطْرِ. فَقُلْتُ: هَذِهِ لِقَدَّةٌ". (33) قُلْتُ: هَذَا فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْكَلَابِ، أَمَا بَلْ الْقَوْمُ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ الْعُلَمَاءِ الْكِرَامِ؟ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أُخْطِئَ حَقَّانٌ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ حَدِيثًا، مَا أُخْطِئَ بِهَا أَحَدًا، وَأَخْطِئَهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ. وَلَقَدْ طَلَبْتُ إِلَيْ خَلْفِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ: قَالَ لِي أَيْ شَيْءٍ هِيَ؟ لَمَّا قُلْتُ لَهُ - كُنْتُ يُحِبُّ أَنْ يَجِدَ عَلَيْهِ - قَالَ يَحْيَى: مَا رَأَيْتُ عَلَى رَجُلٍ قَطُّ خَطَأً إِلَّا سَفَرَهُ، وَلَحِيبَتْ أَنْ أُرِيَنَّ لَمَرَدًا، وَمَا اسْتَقْبَلْتُ رَجُلًا فِي وَجْهِهِ بِأَمْرٍ يَكْرَهُهُ، وَلَكِنْ أَيْبَنَ لَهُ خُلَاءَهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، لَمَّا قَبِلَ ذَلِكَ وَإِلَّا تَرَكْتُهُ". (34)

إِنْ كَانَ مِرَافَكَ وَصُولَ الْحَقِّ إِلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ فَلَا يَسْتَوِمْ أَنْ تَكُونَ لِنَفْسِكَ ظَاهِرَةٌ مَعْلُومَةٌ لَدَى غَيْرِ الْمُطِيعِينَ، قُلُو أَنْ بَنِييًّا كَلَّمَا أَرَدَ عِلَاجَ مَرِيضٍ أَشَاعَ مَرِيضَتَهُ لِمَنْ قَلَّسَ لَمَّا أَفَاءَ أَحَدًا، وَلَمَّا تَصَلَّى الْمُسَوِّفَ لِمَسْأَلَةٍ عَنْ ارْتِكَابِهِ الْإِثْمَ وَاسْتَقْبَلَ الْقَلَسَ.

سَادِسًا: جَعَلَ خِلَافَ الرُّأْيِ مَسْرُوحًا لِلْمَذَاهِبِ:

حقه، بلطراً بين الإنصاف، انكشتر بين الخلو يرى المحسن
مسئولاً، والناظر بين المحبة حكمه، وما يكمن من هذا إلا من أراد الله
كرامته وارتضاه لقبول الحق، وقد قيل:
وعن لرضا عن كل عيب خيلة..... كما أن من لسط يدي المسوي

وقال آخر:

نظروا بين خلوة أو أنها..... من لرضا لامتصوا ما استجوا⁽³⁹⁾
فلن كان بغية طالب العلم الوصول إلى الحقيقة فليحكم المسألة العلمية
إلى قواعد البحث الموضوعي بغض النظر عن القائل سواء كان
قريباً منه أم بعيداً.

ثملاً: ينبغي في الحكم وعدم الإنصاف: الإنصاف شعاع العلماء
المؤمنين عن رب العالمين، قل إن القيم رحمه الله: والله تعالى
يحب الإنصاف ول هو أفضل حلية تحلى بها الرجل، خصوصاً من
نسب نفسه حكماً بين الأكرل والمذاهب، وقد قل الله تعالى لرسوله
ﷺ: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَلَا تُدْرِكُكَ الْغَيْبُ**
الْعَلِيَّ بَيْنَ الطَّرَافِ، وَلَا يَمِيلُ لِحَدِّهِمْ مع قريبه وذوي مذهب ومذاهبه
ومتوهمه، بل يكون الحق مطلوبه، يسير يسيره، وينزل ينزوله، يدين
بين العدل والإنصاف⁽⁴⁰⁾، وصفة المسلم أنه: **رُفُفٌ مَتِينٌ**⁽⁴¹⁾
قل الحافظ ابن حدي رحمه الله: **قلت للربيع: ما حمل**
الشافعي على روايته عن إبراهيم بن أبي يحيى مع وصفه فإذ بأنه كان
قريباً؟

قال: كان الشافعي يقول: **لأن بخر إبراهيم من السماء أحب إليه**
من أن يكتب⁽⁴²⁾.

قل عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: **أوكف ويحيى**
بخلفاني، وهما أحفظ مني⁽⁴³⁾.

وقال عبد الله بن محمد أوزلق رحمه الله: كنت في مجلس
أحد بن خنبل، فقال: من أين أنتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب، فقال:
اكتبوا عنه فإنه شيخ صالح، قلنا: إنه يطن عليه، قال: فأي شيء
حياتي؟ شيخ صالح قد نبي بي⁽⁴⁴⁾.

هذا هو الإنصاف حقاً، وصديق فيه قول الزيلعي رحمه الله:
والله يأمر بالعدل، وما تحلى طالب العلم بأحسن من الإنصاف ورك
للتسبيح⁽⁴⁵⁾.

قل ابن سيرين رحمه الله: **نظم لأخيه أن تذكر منه أمراً ما**
تعلم منه، وتكتم خيراً⁽⁴⁶⁾.

وقال ابن الهيثم رحمه الله: **لويس كل من ذكرنا شيئاً من قوله**
من المتكلمين وغيرهم، نقول بجميع ما يقول في هذا وغيره، ولكن
الحق يقول من كل من تكلم به، وكان مملاً لله يقول في كلامه
المشهور حقه الذي رواه أبو داود في سننه: "قلوا الحق من كل من
جاء به، وإن كان كافراً - أو قال: فاجراً - ولحدروا زبدة الحكم

المسلم يحب في الله والله... وتقومه للناس وحكمه عليهم وينبغي
أن يكون بحسب قريبهم من ربههم والتزامهم بأمره، أما قرز
الإنصاف بحسب من يوافق رأيه، ومن ثم تقرب المواقف وطبيعة
المخالف، فهذه من البذع القبيحة التي لا ينبغي لأهل العلم وطلابه،
تضلاً من محرابهم إياه، وتحذيرهم للعلم منها.

فهذا عبد الله بن مسعود خلف عمر بن الخطاب رضي الله
عنه - في مدة مسلة لجهادية، ومع ذلك كان ابن مسعود من ضال
عمر على الأصغر⁽⁴⁷⁾.

قال يونس الصنفي رحمه الله: **ما رأيت أحداً من الشافعي،**
نظرو يوماً في مسألة ثم اترقنا، ولقيته فلأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا
موسى، ألا يستقيم أن تكون إخواناً وإن لم تنفق في مسألة؟ قل
للهمي رحمه الله - محضاً: **هذا يدل على كمال عقل هذا الإسلام وهذه**
نفسه، فما زال النظارا يختلفون⁽⁴⁸⁾.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: **لم يجر الجسر إلى خراسان**
مثل إسحاق إلا أن رامويلاً وإن كان بخلفنا في أشياء، فإن الناس لم
يزل يخالف بعضهم بعضاً⁽⁴⁹⁾.

وقال الذهبي في ترجمة أبي نعيم الأصبهاني رحمه الله:
كان بين الأصبهانية والحنفلية تصب رائد يؤدي إلى قتال، وقيل: **وقل،**
وصداق طويل، فقام إليه أسماط الحديث سكتين الأقاليم، وكاد
الرجل يقتل قلت للذهبي: **ما هؤلاء بأسماط الحديث، بل فترة**
خيلة، أبعد الله شرهم⁽⁵⁰⁾.

وهذا دليل على أن أهل العلم يعدون من الفجور والجهل نقل
الخلاف المتالي من منازعات علمية إلى مهادنة قد تتطور إلى خالف
يوجب المناورة وحمل السلاح.

سلماً: التصعب والفتاح الهوى: حال الشافعي رحمه الله - موه أنب
بعض الناس مع أهل العلم وإيمان إصانهم، بملة تختلفهم بخلاف نعيم
وهو خلق الفتاح الهوى، قال: **أسلم الهوى إذا دخل قلبه وأثرب**
حبه، لا تعمل فيه لموعظة، ولا يقبل فيرهان، ولا يكثر لمن خالفه
...⁽⁵¹⁾.

كما كتبه له ابن القيم قال: **كل أهل بيلة ومقالة يكسون بجلتهم**
ومقلتهم أسن ما يقدرون عليه من الأكاذيب ومقالة مخالفهم كبح ما
يقدرون عليه من الأكاذيب ومن رزقه الله بصيرة فهو يكتف به حقيقة
ما تحت تلك الأكاذيب من الحق والباطل، ولا تخر باللفظ كما قيل في
هذا المعنى:

قول هذا جلي القلم **..... وإن شأ قلت يا أي الزليلير**
محماً وشأ ما جوزت وسفها والحق قد يخره سوء تبير

فلذا أردت الإطلاع على كنه المعنى (هل هو حق أو باطل؟)،
ليجده من ليس المبارك وجرد قلبه عن الغرّة والهيل، ثم أصح النظر

فقالوا: كيف يعرف أن للكافر يقول الحق؟ قال: إن علي الحق نوراً،
لو كلاماً هذا معناه: (46) وفي رواية البيهقي: "ولا يثبته ذلك عنه".

قال البيهقي رحمه الله - شارحاً: "الكثير معاذ بن جبل أن زيفة
الحكيم لا ترجب الإعراض عنه، ولكن يتركه من قوله ما ليس عليه
نور. (فإن علي الحق نوراً) يعني - رحمه الله - دلالة من كتب أو
سنة أو إجماع أو قول على بعض هذا: (47)

وقال - يوسف القرطبي: "والشاهد هذا قول معاذ بن سعد
التخيري من زيفة الحكيم: (ولا يثبته ذلك عنه) فإنه لعنه أن
يرجع، فلا ينبغي أن يُسقط المرأة بسبب كلمة يزيغ فيها عن الحق
(48).

أين نحن من الإصناف الذي تشكى من قلته الإمام مالك وهو
يعيش قرون الحرية - رحمه الله - قال: "ما في زماننا شيء أقل من
الإصناف. وعقب عليه ابن عبد البر - رحمه الله - قال: "من ركة
العلم الإصناف فيه. ومن لم يصنف: لم يفهم، ولم يفهم: (49)
ومن أسباب عدم الإصناف: وجرد يجب ترك إخلاله بتسليط
الضوء على عيوب الآخرين، من هذا ما قل أو حاكم الرازي عن
العيني - رحمه الله -: "قال: سمعت أروياً من تيوخ (50) يقول: أكره
رسمه ويجب قوماً - قد استكثرت على كثرة عيوبك بكثرة تكورك
لنفسك، فإن الطالب لها يطلبها بكفر ما فيه منها، ثم انقذه:

ولما ما روت بغير غيرة على نكر عيوب غيره

وروى غيره: على عيب الرجل نوى العيوب: (50) وسأل رجل
الأحنف بن قيس: أكلتني على رجل كثير العيوب. فأجابته الأحنف:
طالبه صبراً، فلما عيوب لأني أفضل ما فيه: (51)

الأصل بطلب العلم أن لا يطلب إلا التحاليل الطيب - مسجده -
ولا يتخذ ويضيع ولكه في طلب (الآخرين) وكلماتهم وأكثرت ما
يخدم - وإن كان مسجده - لأن الطيب لا يبحث إلا عن الطيب، ولا
يبعث عن الخبث إلا الخبث... وكلاماً مسجده مبتدأ، وكلاماً يبحث
صلاً يُعبر عنه.

المطلب الثالث

مناهج العلماء في علاج ظاهرة

قبل عرض مناهج العلماء في علاج ظاهرة الظن في مكافحة العلماء
وطلبة العلم، ينبغي بحث خلفية العلم على وقاية أنفسهم من الخوض في
أسبابها، أما إن وقعت للعلاج أشكال شريفة يجب أن يخرسها العلم
في طالب العلم، أهمها البحث على الإخلاص، والقرآن منهج السلف

(٤٦) اسم لعدة قبائل اجسوا قديماً باليمن، وسموا على كثرتهم والعلماء، وكنوا
منهم بمسوا قريشاً والتيوخ: القصة: ظن: السمعاني، الإصناف، 484/1.

الصالح في التنبؤ إلى المرتكبات الثلاثة:

أولاً: حسن الظن وعدم الافتراض سوء نية المخالف: علم رسول الله ﷺ
لصاحبه القميص الأعدل وعدم التمرع في الافتراض سوء نية، فمن
عقده بن شرخيل رضي الله عنه قال: "فجئت مع عضومي المتينة،
فصنعت حاكماً من حيلتها (أي: يستن) فركت من سنبله، فجاء
مناجيب الحاكيم فأخذ كينالي وخزني، فكيف رسول الله ﷺ استعدي حكيه،
فأرسل إلى الرجل فجاءوا به فقال: "ما صنعت على هذا؟"

فقال: "يا رسول الله، فيه دخل حاكيمي فأخذ من سنبله، فركته".
فقال رسول الله: "ما علمته إذ كان جاهلاً؟ ولا علمته إذ كان
جاهلاً؟ ارتد عني كسامة".

وأمر لي رسول الله ﷺ أن يصيب ونحو: (52)

بل أخبرنا أن الإنسان قد يقول كلمة للكفر وهو يقصد جدها،
فقال: "لله أشد أرحماً بقولي جدي، حين يتوب إلي، من أشدكم كذا على
رأسه بلزني فلانة، فأنفقت منه، وطعنا طعنة وشربنا فليس منها،
فأني شجرة، فاستطع في ظلها، فلا أيس من رطبتك، فربما هو كذلك،
إذا هو بها فتنه عنده، فأخذ يخطبها، ثم قال - من هذا الفرج - اللهم
أنت عذبي، وأما وكذا، أخطأ من شدة الفرج: (53)

قال محمد بن عيسى - رحمه الله -: "جاء دليل على أن الإنسان إذا
أخطأ في قول من الأقوال ولو كان كفراً سبق لسانه إليه فإنه لا يزل
فهذا الرجل قال كلمة كفر، لكن لما صدر للكفر عن خطأ من شدة
الفرح صار غير مؤخذ به: (54)

وأخذ به الصحابة الكرام، لما شكوا أهل الكوفة أن سعداً لا يحسن
أن يصلي، فذكر عمر ذلك له، فقال سعد: لما أنا فكتك أسلي بهم
صلاة رسول الله ﷺ.. فقال عمر: ذلك ظن بك أيا لمحق: (55)

وأخذ به التابعون، فقد ورد عن إمام التابعين سعيد بن المسيب -
رحمه الله - قوله: "منع أمر أخيك على أحسنه ما لم يلك ما يملكه،
ولا تلتن بكلمة خرجت من أسمى مسلم شراً وأنت تجد له في الخير
مصلحة: (56)

وأحياناً ذلك تحول إساءة الظن في نية المخالف إن أخطأ -
حسب وجهة نظرك - على عيب فك أنت، وما أجمل قول السنوي -
رحمه الله -: "ومن إساءة الظن بمن ليس محلاً لسوء الظن به، بل على
حسب استقلته في نفسه: (57)

بل ذهب الخطابي - رحمه الله - إلى أبعد من ذلك، حيث بدأ سوء
الظن بالأبواب دليل عدم مصالحة أئمتهم... فقال: "معاملة الأئمة
تورث سوء الظن بالأبواب: (58)

ومن جميل القصص في هذا الباب ما يروي عن أن الربيع دخل
على الشافعي - رحمه الله - ذات يوم يعود من مرض ألم به، فقال
له: "أوى الله شيطانك؟"

فقال الشافعي: "أوى شيطاني الشك". قال الربيع: "والله ما

أريدت إلا الخير". قال الشافعي: "أعلم أنك لو شئت لم ترد إلا الخير".⁽⁶³⁾

وهكذا ينبغي أن يكون نظر طلبة العلم لأهل الفضل والخير، فلا يحكمون عليهم بالنظر إلى الخطأ مجرداً عن حل الشخص ودينه ومقصد، فربما تكون زلة لسان ولا يقصد المعنى الخبيث. قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "الكلمة الواحدة بقولها ثلثان يريد بها أحدهما أعظم للباطل، ويريد بها الآخر محض الحق. والاعتبار بطريقة القائل، وسيرته، ومذهبه، وما يدعو إليه وينظر عنه".⁽⁶⁴⁾

فالنظر إلى الإصناف الذي سار عليه علماء السلف، وكيف حملوا الجارات المختلفة على المحامل الفسدة، مع إمكانهم أن يحملوها على المحمل الآخر، لكن سلامة الصدر تكفي عليهم فذلك، فليت من يتصفون بالأخطاء، ويفرحون بالعترات ويعلمون العلماء والدعاة بمواءة الظن بشؤون هذا المنهج.

ذلك هي السنة وما سواها بدعة، فمن حاداه أهل البدع إذا انحسروا من الحجة، وضاعت عليهم السبل، تروخرا إلى صوب أهل السنة ونسبهم، ومدح أنفسهم. ولوالجب أن يتكلم الإنسان بعلم وعقل، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ أُولَئِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْلِهِمْ هُمْ أَصْحَابُ" [المائدة: 8].⁽⁶⁵⁾

ومن الحكم المشهورة في هذا الباب، قول المتنبي رحمه الله:

إذا بناء أهل امرء بماحت ظفونه..... وصلى ما يطرد من يوم

قال الزندي رحمه الله: في شرحه للبيت: "الشيء الذي لا يأمن من أساء إليه، وما يخطر بقله من قلوبهم على ألسانه يصنف ذلك، وهذا كما قال بعضهم:

وما صنعت لي - بشهد الله - نية..... طبعك بل استصغرتي فكتمتي".⁽⁶⁶⁾

فإن الله في حسن الظن وإخوانكم من العلماء وطلبة العلم.

ثانياً: نصر: العلم لأخيه وعدم محامه لطلبة العلم بالظن بهم: من عجائب هذا الزمان إشغال عدد من الشباب الذين يزعمون أنهم طلبة علم وقائم -الذي يسألون عنه يوم الحساب يوم الفصل- بقتبع آثار علماء الأمة ودعاتها من كتب ومجلات وبرامج على الفضائيات.. لأجل حيف واحد، وهو تصوّد أسلحتهم ورمحهم، فتجدهم يفرحون إن وقعوا على خطأ في كلمة آية، أو دخول عن إقتان ذكر متن حديث شريف بلفظه، أو نحن في اللغة، ومن منا يخطر من الخطأ؟

أولئك الشباب يظنون عن الحديث الذي رواه البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله ﷺ حتى أمتنع المرائق في بيوتها.. قال: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغفلوا عنكم ولا تلبثوا عوز قلوبكم، فإنه من بلغ عوزة أخيه يتبع الله عوزة، ومن يتبع الله عوزة يفتن في عوز بيته".⁽⁶⁷⁾

وهذا تنوير من السبكي رحمه الله: "والحذر الحذر من هذا الصبان، بل في الصواب جلتنا أن من ثبت إيمانه وعدلته، وكثر ملاحقه ومزكوه، ونذر جارحه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تصيب مذهبي أو غيره، فإذا لا تلتفت إلى الجرح فيه، وتصل فيه بالدقة، ولو فتحنا هذا الباب ولجنا تقديم الجرح - على إطلاقه - لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعون وهناك فيه هالكون".⁽⁶⁸⁾

قال الذهبي رحمه الله -معافاً لعقلي- حين أورد ابن المديني في الضعفاء: "أنكره العقلي في كتاب الضعفاء نفس ما صنع.. ولو تركت حديث جلي وصلجه مسند وشيخه عبد الرزاق وحسن بن أبي شيبة.. انطلقنا لباب، وانطلق الخطباء، ولست الأثر، واستولت الزنقة، ولفرج النجاء، أما لك عقل يا عقلي، أكره فيهم تتكلم.. كذلك لا تفرق أن كل واحد من هؤلاء لائق منك بطبقات، بل لائق من ثبات كثيرين لم يوردهم في كتابه.. وأنا أشتبه أن تُمرقني من هو الثقة الثابت الذي ما خلط".⁽⁶⁹⁾

ورحم الله إبراهيم بن أحمد إذ يقول: كلما إذا رأينا الشاب يتكلم مع المشايخ في المسجد، أينما من كل جور عده".⁽⁷⁰⁾

وقال أبو سنان الأحمدي رحمه الله: "إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين، وتعلم الرقيقة في الدين متى يبلغ؟".⁽⁷¹⁾

هذا هو موقف السلف الصالح من يظنون بشايخهم، فمن علي بن المديني قال: "جاء رجل إلى عبد الرحمن بن مهدي فجعل يعرض بركيع - وكان بين عبد الرحمن بن مهدي وبين ركيع بعض ما يكون بين الناس - فقال عبد الرحمن للذي جعل يعرض بركيع: ثم عطاء، بلغ من الأمر أن يُعرض بشيخنا؟ وكيع شيخنا وكبيرنا، ومن حكاها عنه العلم".⁽⁷²⁾

ونكر ابن حجر رحمه الله - قصة تستحق للتأمل، حين أورد في وصف حل أحد قضية لهم ساعة وفاته: "أردت أدلع لسانه واسوءه، فكأنوا يرون أن ذلك بسبب كثرة وقبحة في الشيخ محيي الدين النوري رحمه الله تعالى".⁽⁷³⁾

قال ابن عبد البر رحمه الله: "قال النوري رحمه الله: تعد ذكر الصالحين لتزول الرحمة، ومن ثم يحفظ من أخبارهم إلا ما يدر من بعضهم في بعض على الصد والهنوت والتضيب والشبهات، بون أن يُعنى بضاعتهم ويروي منقبتهم، حرم التوقيف، ودخل في الغيبة، وحاد عن الطريق. جلتنا الله وإياك من يسمع القول فيتبع أصنعه".⁽⁷⁴⁾

والشفتي رحمه الله - كلام جميل في ذلك، منه: "لا خير فيما إذا أسبحتا تري طالب العلم على انتقاص العلماء، وأصبح طالب العلم لا يمكن أن يُعرف أنه طالب علم إلا بسبب علماء الفلاني، والإمام الفلاني.. لسان الله العظيم، رب العرش الكريم، أن رزاقنا بهم، وأن جعل

بَلَدَ الْحَبِّ خَالِصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، مُوجِباً لِرُضْوَانِهِ الْعَظِيمِ.⁽⁷¹⁾
إِنَّهُ أَمَرُ الزَّمَانِ الَّذِي صَارَ فِيهِ طَلَبُ الْعِلْمِ لَا يَشْتَبِرُ إِلَّا بِإِنْ
لَتَقْصُصَ مِنْ مَخَالِفِهِ، مَخَالِفاً الْحَقَّ الْمَعْرُوفَ حَتَّى السَّلَفِ مِنْ أَنْ يَمْلِكُوا
الْأَنْبَاقَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ.

ثَلَاثاً: الْإِيمَانُ بِأَنَّ رَأْيِي صَرِيحٌ وَلَكِنَّهُ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، فَتَأْتِيهِ جِيلَةٌ وَيُظْهِرُ
فِيهَا تَوَاضُعَ السَّادَةِ لِلْعُلَمَاءِ، وَإِنْ ظَهَرَ شُعْبُهُمْ، وَعَدِمَ إِعَادَةُ الْعَصَةِ مِنْ
الزَّلَّةِ، الَّتِي هِيَ لِمَلِكِ الْعَالَمِ وَحْدِهِ مَبْجُودَةٌ وَتَعَالَى.

كَانَ السَّلَفُ السَّلَفُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ، إِذَا بَدَأُوا عَنْ مَذْهَبٍ
وَمَذْهَبٍ مَخَالِفًا فِي الْقُرْعِ وَجِبَاطِهَا أَنْ يَجِيبَ: بِأَنَّ مَذْهَبَنَا صَرِيحٌ
يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، وَمَذْهَبُ مَخَالِفِنَا خَطَأٌ يَحْتَمِلُ الصَّرِيحَ، لِأَنَّكَ لَوْ تَطَلَّعْتَ
الْقَوْلَ لَمْ يَصِحَّ قَوْلُنَا: إِنَّ الْمُجْتَهِدَ يَخْطِئُ وَيُصِيبُ.⁽⁷²⁾ وَمَا قَالَهُ
الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا الْبَابِ: قَالَ الثَّوْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ
فَلَا لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمُتَعَدٍّ لِي أَنْ يَأْخُذَ بِهِ».⁽⁷³⁾

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعْدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «مَا يَرْجُحُ أَرَأُو الْقُرَى
وَيُخَلِّفُونَ، فَيُجْلِ هَذَا وَيُجْزِمُ هَذَا، فَلَا يَرَى الْمُحَرِّمَ أَنَّ الْمَحِلَّ هَلْكَ
الْمَحِلِّ، وَلَا يَرَى الْمَحِلَّ أَنَّ الْمُحَرَّمَ هَلْكَ الْمُحَرَّمَ».⁽⁷⁴⁾

قَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «هَذَا رَأْيِي مِنْ جَانِبٍ يَخِيرُ مِنْهُ
فَيُتَّخَذُ». قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «مُتَّخَذٌ: أَوْ كَانَ هُوَ عَيْنَ حُكْمٍ
لَهُ لَمَّا سَأَلَ لَأَبِي يُونُسَ - وَمَعْدُ الْإِنِّ الصَّنِيعِيَّةِ - وَغَيْرَهَا
مَخَالِفَتِهِ فِيهِ، وَلَوْ عَلِمُوا: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَنَّ أَعْرَاقَهُمْ يَجِبُ اتِّبَاعُهَا
لَحَرَمُوا عَلَى أَصْحَابِهِمْ مَخَالِفَتَهُمْ».⁽⁷⁵⁾

فَ «الْأَكْبِيَاءُ سَلَكُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ - هُمُ الَّذِينَ قَالَ الْعُلَمَاءُ لَهُمْ
مَعْصُومِينَ مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ، فَلَمَّا الصَّدِيقُونَ وَالشَّهَادَةُ
وَالصَّلَاحُونَ لِيَسْرُوا بِمَعْصُومِينَ، وَهَذَا فِي الذَّنْبِ الْمُسْقَاطِ، وَلَمَّا مَا
اجْتَهَدُوا فِيهِ، قَتَرَهُ يَصِيرُونَ وَثَرَةً يَخْطِئُونَ، فَلَمَّا اجْتَهَدُوا فَصَابُوا لَهُمْ
أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدُوا وَلَخَطُّوا لَهُمْ أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ، وَخَطُّوهُمْ
مُظْهِرٌ لَهُمْ. وَأَهْلُ الضَّلَالِ يَجْعَلُونَ الْخَطَأَ وَالْإِثْمَ مِثْلَ تَرْتِيزٍ، قَتَرَهُ
يَعْلُونَ فِيهِمْ وَيَقُولُونَ: «لَهُمْ مَعْصُومُونَ». وَثَرَةً يَجْعَلُونَ عَنْهُمْ وَيَقُولُونَ:
«لَهُمْ يَأْخُذُونَ بِالْخَطَأِ». وَأَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ لَا يُفَضِّلُونَ، وَلَا
يُؤَيِّمُونَ».⁽⁷⁶⁾

قَالَ ابْنُ حَزَمٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «كَدَّ يَخْطِئُ الْفَاضِلُ، سَمَا لَمْ يَكُنْ
مَعْصُوماً - وَلَوْ أَنَّ ذَلِكَ الْفَاضِلَ لَاحَ لَهُ مَا لَاحَ لَكَ لِرَجْعِ إِلَيْكَ، وَلَوْ لَمْ
يَفْعَلْ لَكَانَ خَيْرَ فَاضِلٍ.

وَأَخِيرُكَ بِحِكْمِيَّةٍ، أَوْ لَا رَجَاؤَ فِي أَنْ يَسْأَلَ بِهَا الْإِكْتِسَافَ عَنْ مَنْ
لَهُ يَنْفَرُ، مَا ذَكَرْتَاهَا، وَهِيَ، أَلَيْ تَلْفِظُكَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِنَا فِي
مَسْأَلَةٍ، لَمْ تَوَقَّعْ فِيهَا لُجْرًا؟⁽⁷⁷⁾ كُنْ فِي أَسْئَلِهِ، وَافْضِنْ الْمَجْلِسَ عَلَى أَلَيْ

(71) يَكُونُ أَرَادَ بِكَامِهِ يَكُونُ أَلَّا يَكْلَفَهُ يَخْتَلَفُ عَنْهُ السُّكْمُ وَالْمُسَدُّ الْإِسْلَامِي ابْنُ
سَعْدٍ (199/3) (هـ أ ب).

شَاخِصٍ، لَمَّا كُنْتُ بِمَنْزِلِي حَالِي فِي بَيْتِي مِنْهَا شَيْءٌ، فَاسْتَلْبِثْتُهَا بِمَنْ
الْكُتُبِ، فَوَجَدْتُ بِرَهْفٍ مُصْحَفاً بَيْنَ بَطْلَانِ قَوْلِي وَمَسْحَةِ قَوْلِ
خَصْمِي، وَكَانَ مَعِيَ أَحَدُ أَصْحَابِنَا مِمَّنْ شَهِدَ لَكَ، فَمَجِسْتُ فَعَرَفْتُهُ
بَنَاصَةٍ، ثُمَّ إِنِّي قَدْ عَلَّمْتُ عَلَى الْمَكَانِ مِنَ الْكُتُبِ.

قَالَ لِي: مَا تَرِيدُ؟ قُلْتُ: حَمَلْتُ هَذَا الْكُتُبَ وَعَرَضْتُ عَلَى فُلَانٍ،
وَإِعْلَانِهِ بِأَنَّهُ الْمُحَقِّقُ، وَأَنِّي كُنْتُ الْمُبْطِلُ، وَأَنِّي رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِ فَهَجَمَ
عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ مَبِيتٌ، وَقَالَ لِي: وَتَسْمَحُ نَفْسُكَ بِهَذَا؟ قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ،
وَلَوْ لَمْ أَكُنْ فِي ذَلِكَ فِي وَقْتِي هَذَا، مَا أَخَّرْتُهُ إِلَى غَدٍ.⁽⁷⁸⁾

لَمَّا تَطَلَّبَ الْحَقَّ، وَبِمَا أَنَّكَ تَطَلَّبُ الْحَقَّ فَيُفِيهِ عَلَى الْقَرَحِ بِهِ
مِنْ أَيْ مَكَانٍ ظَهَرَ، سَوَاءً كَانَ ظَهْرَهُ عَلَى يَدَيْكَ أَمْ مِنْ طَرَفٍ
خَصْمِكَ.

رَابِعاً: الْإِعْرَافُ بِأَنَّ لِكُلِّ مُجْتَهِدٍ تَصْمِيماً: لِأَنَّ تَهْمَةً - رَحِمَهُ اللَّهُ -
اسْتِغْنَاءً بِحُجْمٍ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَذَلُولَةٌ وَسُكُونٌ إِذْ يَتَكَلَّمُ فِي الْحَرْثِ إِذْ
نَفَسَتْ فِيهِ غَمٌّ لِقَوْمٍ رَكَّابًا بِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ أَفْهَمَتَاهَا سَتِيمَانِ رَكَّابًا أَتَقَا
حُكْمًا وَعِلْمًا» [الْأَكْبِيَاءُ: 78]. فَقَالَ: «هَذَانِ شَيْئَانِ كَرِيمَانِ حُكْمًا فِي
حُكْمَةٍ وَلِسَةٍ، فَخَصَّ اللَّهُ أَحَدَهُمَا بِقِيَمَةٍ، مَعَ ثَلَاثَةٍ عَلَى كُلِّ مَنَهُمَا بِأَنَّ
أَنَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، فَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ لِمُجْتَهِدِينَ لِلصَّبِّ مِنْهُمْ أَجْرَانِ
وَلَاخَرُ لِمَنْ، وَكُلُّ مَنَهُمْ مُطِيعٌ بِصَبِّ اسْتِغْنَاءِهِ، وَلَا يَكْفَى اللَّهُ
لِلْمُجْتَهِدِ مَا عَجَزَ عَنْ عِلْمِهِ».⁽⁷⁹⁾

يَفْسَدُ: أَنَّ الْمُجْتَهِدَ الصَّبِّ لَهُ أَجْرَانِ: أَحَدُ صَدَقَ الْقِيَمَةَ، وَآخَرُ
صَرَفَ الْعَمَلِ، أَمَّا الْمُجْتَهِدُ الْمَخْطِئُ فَهُوَ أَجْرُ صَدَقَ الْقِيَمَةَ فَقَطْ.

وَقَالَ الْقَوَاطِبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «قَالَ جَبْرِ أَمَلُ السَّنَةِ - وَهُوَ
الْمَحْضُوفُ عَنْ مَلِكِهِ وَأَصْحَابِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: إِنَّ الْحَقَّ فِي مَسْأَلِ
الْقُرْعِ فِي طَرَفَيْنِ، وَكُلُّ مُجْتَهِدٍ مَصْصِيْبٍ، وَالْمَطْلُوبُ إِذَا هُوَ الْأَفْضَلُ
فِي ظَنِّهِ».⁽⁸⁰⁾

قَالَ الصَّنَاعَتِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «الْقَوَادِرُ تَقَعُ لِأَعْرَاقِ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَلِكِهِ
وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِمَا، مَا أَحَدُ مِنْهُمْ إِلَّا لَهُ نَافِذَةٌ يَنْبَغِي أَنْ تُتَمَرَّ فِي جَنْبِ
فَضْلِهِ، وَتُحْتَكَبُ».⁽⁸¹⁾

وَقَالَ ابْنُ تَهْمَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «كَانَ كَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مُجْتَهِداً
فِي طَلَبِ الْحَقِّ وَالْخَطَأِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَفْرُغُ لَهُ خَطَأَهُ كُلَّ مَا كَانَ، سَوَاءً كَانَ
فِي الْمَسَائِلِ الْكُتُوبِ أَوْ الْعَمَلِ، هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْقَبْرِ ﷺ
وَجَاهِلِيَّةُ الْإِسْلَامِ».⁽⁸²⁾

مِثَالُ ذَلِكَ الْقَاعِدَةُ مَا ذَكَرَ الْأَمِينُ فِي تَرْجُمَةِ فَتَاةٍ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ -
، قَالَتْ: «كَانَ يَرَى الْقُرْعَ، يَسْأَلُ اللَّهَ الْعَوْرَ، وَمَعَ هَذَا مَا تَوَقَّفَ أَحَدٌ فِي
صَنْفِهِ، وَحَدَّثَهُ، وَخَفَلَهُ، وَقَالَ اللَّهُ يَحْزَنُ أَسْأَلُهُ مِنْ تَلَمُّسِ بَدْعِهِ يَرِيدُ
بِهَا تَعْظِيمَ الْقَبْرِ، وَتَنْزِيلَهُ، وَيَقُولُ وَمَعَهُ. وَاللَّهُ حَكَمٌ عَزَّ، لَطِيفٌ
بِعِبَادِهِ، وَلَا يَسْأَلُ حَمَّا يَقُولُ، ثُمَّ إِنَّ الْكَثِيرَ مِنْ أُمَّةِ الْعِلْمِ إِذَا كَثُرَ
صَوْبُهُ، وَظَلَمَ تَحْرِيقَ الْحَقِّ، وَافْضَحَ حَقُّهُ، وَظَهَرَ نِكَالُهُ، وَخُفِيَ

مقايير الدراسة

أولاً: المتغيرات الوسيطة:

الجنس: وله فئتان: (ذكور، وإناث)، ونوع الجامعة: وله فئتان: (حكومية، وخاصة). ومكان السكن: وله فئتان: (قرية، ومدينة).

ثانياً: المتغير التابع:

امتلاك طلبة معلم الصف في الجامعات الأردنية (الحكومية والخاصة) في الأردن للمهارات الاجتماعية من وجهة نظرهم، والتي يجرى عليها من خلال المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة على فقرات ومجالات الإصغاء.

المعجلات الإحصائية

للإجابة عن أسئلة البحث تم استخدام الأساليب الإحصائية الآتية:

1. للإجابة عن السؤال الأول تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.
2. للإجابة عن السؤال الثاني، تم استخدام تحليل التباين المتعدد، وتحليل تباين التلوي.

نتائج الدراسة ومناقشتها

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول ومناقشتها:

نص السؤال الأول على "ما مدى امتلاك طلبة تخصص معلم صف في الجامعات الأردنية للمهارات الاجتماعية من وجهة نظرهم؟" للإجابة عن هذا السؤال، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة على المهارات الاجتماعية، حيث كانت كما هي موضحة في الجدول رقم (3).

جدول 3: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة لمدى امتلاكهم للمهارات الاجتماعية مرتبة تنازلياً.

المدى	المتوسط الحسابي*	الانحراف المعياري	درجة امتلاك المهارات الاجتماعية
الامتلاك الاجتماعي	3.81	0.57	كبيرة
القيادة	3.25	0.64	متوسطة
التحصيل الأكاديمي	3.24	0.59	متوسطة
صنع القرار	3.18	0.61	متوسطة
التعبير عن المشاعر	3.11	0.54	متوسطة
الداء القوي	3.24	0.49	متوسطة

* الدرجة العظمى من (5)

يبين الجدول رقم (3) أن مدى امتلاك المهارات الاجتماعية قد حصل المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.81) وانحراف معياري (0.57)، وجاء مجال القيادة في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.25)

وانحراف معياري (0.64)، بينما جاء مجال التعبير عن المشاعر في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (3.11) وانحراف معياري (0.54)، وقد بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات أفراد عينة الدراسة على درجة امتلاكهم للمهارات الاجتماعية (3.24) بانحراف معياري (0.49)، وهو يقابل التقدير درجة امتلاك متوسطة. ويعزو الباحثان ذلك إلى أن الحياة الجامعية تتطلب التواصل والحوار بين الطلبة، حيث تشجع الأجواء الحياتية التي تفرغها الحياة الجامعية التي تشكل تكوين صداقات بين الطلبة، وتكون علاقات اجتماعية بينهم تؤدي إلى تقاسم والتعاون الإيجابي لمصلحتهم، وبذلك كل التخصصات القولية بينهم، تسهم في توفير حياة يسودها الأمن والطمأنينة والرفق في التسلسلات الحياتية والحسية، لينقلها الطلبة للآخرين، وجاء مجال التعبير عن المشاعر في المرتبة الأخيرة، ويعزو الباحثان ذلك إلى افتقار الطلبة لمهارات التعبير عن مشاعرهم، سواء بالإيجابيات القلبية أو الجسدية، وذلك نتيجة لعدم تسميتها وتكتمها في المراحل الدراسية السابقة، وعدم إتاحة الفرصة للطلبة في تلك المراحل للتعبير عن مشاعرهم، لعمول تملق بالخوف، وعدم توفر الثقة بالنفس في التعبير عن المشاعر، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة حسن (2001) ودراسة المسيري (2003).

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني ومناقشتها:

نص هذا السؤال على "هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية لمدى امتلاك طلبة تخصص معلم صف في الجامعات الأردنية للمهارات الاجتماعية تعزى لمتغيرات الجنس (ذكور، إناث)، ونوع الجامعة (حكومية، وخاصة)، ومكان السكن (مدينة، قرية)؟" للإجابة عن هذا السؤال، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لمدى امتلاكهم للمهارات الاجتماعية، حسب متغيرات الدراسة على النحو الآتي:

أ- حسب متغير الجنس:

جدول 4: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة لمدى امتلاكهم للمهارات الاجتماعية حسب متغير الجنس.

المدى	ذكور (n=85)		إناث (n=200)	
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التعبير عن المشاعر	2.86	0.47	3.22	0.54
التحصيل الأكاديمي	3.46	0.42	3.15	0.42
صنع القرار	3.27	0.48	3.14	0.55
القيادة	3.36	0.47	3.20	0.46
مهارات الاجتماعية	3.82	0.45	3.81	0.44
الداء القوي	3.31	0.40	3.21	0.37

مقايير الدراسة

أولاً : المتغيرات الوسيطة:

الجنس: وله فئتان: (ذكور، وإناث)، ونوع الجامعة: وله فئتان: (حكومية، وخاصة). ومكان السكن: وله فئتان: (قرية، ومدينة).

ثانياً : المتغير التابع:

امتلاك طلبة معلم الصف في الجامعات الأردنية (الحكومية والخاصة) في الأردن للمهارات الاجتماعية من وجهة نظرهم، والتي يجرى عليها من خلال المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة على فقرات ومجالات الإصغاء.

المعجلات الإحصائية

للإجابة عن أسئلة البحث تم استخدام الأساليب الإحصائية الآتية:

1. للإجابة عن السؤال الأول تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.
2. للإجابة عن السؤال الثاني، تم استخدام تحليل التباين المتعدد، وتحليل تباين التلوي.

نتائج الدراسة ومناقشتها

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول ومناقشتها:

نص السؤال الأول على "ما مدى امتلاك طلبة تخصص معلم صف في الجامعات الأردنية للمهارات الاجتماعية من وجهة نظرهم؟" للإجابة عن هذا السؤال، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة على المهارات الاجتماعية، حيث كانت كما هي موضحة في الجدول رقم (3).

جدول 3: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة لمدى امتلاكهم للمهارات الاجتماعية مرتبة تنازلياً.

المدى	المتوسط الحسابي*	الانحراف المعياري	درجة امتلاك المهارات الاجتماعية
الامتلاك الاجتماعي	3.81	0.57	كبيرة
القيادة	3.25	0.64	متوسطة
التحصيل الأكاديمي	3.24	0.59	متوسطة
صنع القرار	3.18	0.61	متوسطة
التعبير عن المشاعر	3.11	0.54	متوسطة
القدرة على التعلم	3.24	0.49	متوسطة

* الدرجة العظمى من (5)

يبين الجدول رقم (3) أن مدى امتلاك المهارات الاجتماعية قد حصل المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.81) وانحراف معياري (0.57)، وجاء مجال القيادة في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.25)

وانحراف معياري (0.64)، بينما جاء مجال التعبير عن المشاعر في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (3.11) وانحراف معياري (0.54)، وقد بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات أفراد عينة الدراسة على درجة امتلاكهم للمهارات الاجتماعية (3.24) وانحراف معياري (0.49)، وهو يقابل التقدير درجة امتلاك متوسطة. ويعزو الباحثان ذلك إلى أن الحياة الجامعية تتطلب التواصل والحوار بين الطلبة، حيث تشجع الأجواء الحياتية التي تفرغها الحياة الجامعية التي تشكل تكوين صداقات بين الطلبة، وتكون علاقات اجتماعية بينهم تؤدي إلى تقاسم والتعاون الإيجابي لمصلحتهم، وبذلك كل التخصصات القولية بينهم، تسهم في توفير حياة يسودها الأمن والطمأنينة والرفق في التسلسلات الحياتية والحسية، لينقلها الطلبة للآخرين، وجاء مجال التعبير عن المشاعر في المرتبة الأخيرة، ويعزو الباحثان ذلك إلى افتقار الطلبة لمهارات التعبير عن مشاعرهم، سواء بالإيجابيات القلبية أو السلبية، وذلك نتيجة لعدم تسميتها ولتجاهلها في المراحل الدراسية السابقة، وعدم إتاحة الفرصة للطلبة في تلك المراحل للتعبير عن مشاعرهم، لعمول تملق بالخوف، وعدم توفر الثقة بالنفس في التعبير عن المشاعر، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة حسن (2001) ودراسة المسيري (2003).

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني ومناقشتها:

نص هذا السؤال على "هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية لمدى امتلاك طلبة تخصص معلم صف في الجامعات الأردنية للمهارات الاجتماعية تعزى لمتغيرات الجنس (ذكور، إناث)، ونوع الجامعة (حكومية، وخاصة)، ومكان السكن (مدينة، قرية)؟" للإجابة عن هذا السؤال، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لمدى امتلاكهم للمهارات الاجتماعية، حسب متغيرات الدراسة على النحو الآتي:

أ- حسب متغير الجنس:

جدول 4: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة لمدى امتلاكهم للمهارات الاجتماعية حسب متغير الجنس.

المدى	ذكور (n=85)		إناث (n=200)	
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التعبير عن المشاعر	2.86	0.47	3.22	0.54
التحصيل الأكاديمي	3.46	0.42	3.15	0.42
صنع القرار	3.27	0.48	3.14	0.55
القيادة	3.36	0.47	3.20	0.46
مهارات الاجتماعية	3.82	0.45	3.81	0.44
القدرة على التعلم	3.31	0.40	3.21	0.37

- [31] الزبيدي، مرتضى محمد، إتحاف السادة الملقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 566/8، 2005م.
- [32] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 272/16.
- [33] نظرية ابن قيم الجوزية، إسلام الموسيقين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 337/2، 1991م، ونكر من المسائل الخلافية بينهما: أن ابن مسعود صح عنه أن لم تولد تغلق من نصيب ولدها، وأنه كان يطبق في الصلاة إلى أن مات وعمر كان يضع يديه على ركبتيه، وأن ابن مسعود كان يقول في "الحرام" هي بين رجليه ويقول ملقة واحدة، وأن ابن مسعود كان يحرم نكاح الزانية على الزاني أبداً وعمر كان يتوهمها ركنك أحدهما الآخر.
- [34] الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: عمر الخروبي، دار الفكر، بيروت، ط1، 16/10.
- [35] المصدر السابق 371/11.
- [36] المصدر ذاته 459/17.
- [37] الشافعي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، دار الفكر، بيروت، (د/ت ط)، 268/2.
- [38] ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 141/1.
- [39] ابن قيم الجوزية، إصطلاح الموسيقين، 116/3.
- [40] قتلة الحصن المصري، النظر: ابن قتيبة الحارثي، أحمد، مجموع الفتاوى، جمع عبدالرحمن بن القاسم، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، الرياض، 382/10، 1985م.
- [41] الزركشي، محمد بن بهادر، البحر المحفوظ، تحقيق: محمد تيسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 330/3، 1421هـ.
- [42] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 663/15.
- [43] الذهبي، سير أعلام النبلاء، 317/11.
- [44] الزياشي، عياد بن يوسف، نصب الرتبة، تحرير: أحمد، القاهرة، تحقيق: أحمد صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة، 270/2، 1993م.
- [45] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المصطفى، بيروت، ط8، (274/2)، 1988م.
- [46] ابن قتيبة الحارثي، أحمد، الفتاوى الصورية الكبرى، تحقيق: شريف محمد، دار الفكر، القاهرة، ص 153، والحديث رواه أبو داود (4613) والحاكم (8422) بمعناه، وقال الحاكم: على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، 1991م.
- [47] رواه البيهقي في سننه الكبرى 127/2 (21444).
- [48] القرطبي، د. يوسف، الصخرة الإسلامية بين الاختلاف المتدور والفرق المعلوم، دار الصخرة، القاهرة، ص 135.
- [49] القرطبي، ابن عباد، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الذهبي، دار ابن الجوزي، الدمام، 131/1، 1994م.
- [50] ابن عسكرو، علي بن الحسن، تبيين كتب المقرئ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص 1404هـ.
- [51] القاضي، أبو علي، الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د/ت ط)، 267/2.
- [52] رواه النسائي 831/6 (5424) وصححه الألباني في صحيح ابن النسائي (4999). والترمذي (فتح القلوب)؛ مقرون صداعاً، انظر: ابن الأثير الجوزي، علي بن مسعود، لنهاية في ترويه الحديث والأثر، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 401/5. والترمذي مكمل يتبع لما وزن حوالي (140) كيلوغراماً، انظر: الفن، د. مصطفى وآخرون، 1992م، للغة المنهج على مناهج الإمام الشافعي، دار الفقه، دمشق، ط1، 127/6، 2001م.
- [53] رواه مسلم عن أنس بن مالك مرفوعاً (2060).
- [54] الطبري، محمد بن صالح، شرح رياض السالكين، دار السلام، القاهرة، 13/3، 2002م.
- [55] رواه البخاري (722) ومسلم (453).
- [56] ذكره البيهقي في شعب الإيمان 379/17 (8114).
- [57] السنوي، محمد عبدالوهاب، فيض القدير، تحقيق: حمدي التمر، مكتبة أبو، مكة المكرمة، 424/1، 1998م.
- [58] الشافعي، حمد بن محمد، منزلة الطبعة الشافعية، القاهرة، ص 72، 1385هـ.
- [59] بن أبي حاتم الرازي، أدب الشافعي ومناهجه، تحقيق: عبدالغني عبدالخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص 209.
- [60] ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 521/3.
- [61] قتلة الشيخ عبد الطيف آل الشيخ، نظرية الدرر السنية في الأجرية للجنة، جمع: عبدالرحمن بن القاسم، 102/4.
- [62] علي بن أحمد، الوليدي، شرح ديوان الملقين، ص 323.
- [63] رواه أبو يعلى في مسنده 237/3، وقال البيهقي في مجمع الزوائد 93/8: رواه ثقات، والحوادث: جمع ياتق وهي الجارية لولادة، انظر: النووي، شرح صحيح مسلم، 890/6.
- [64] السبكي، جدالوهاب بن علي، قاعدة في الجرح والتعديل، ص 13.
- [65] الذهبي، ميزان الاعتدال، 140/3.
- [66] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الجامع لأخلاق الرازي وكتاب السامع، تحقيق: د. محمد الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 201/1، 1403هـ.

- [67] القنسي، جيلس، ترتيب المدارك، تحقيق: د. أحمد بكر، مكتبة الحياة، بيروت، 14/2، 1976م.
- [68] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 663/15.
- [69] ابن حجر، أحمد بن علي، لئدر الكفاة، دائرة المعارف الحماة، حيدرآباد، 9/2.
- [70] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، 415/3.
- [71] الخفطلي، شرح زاد المستقنع، برنامج المكتبة الشاملة الإلكترونية، الإصدار الثالث، 81/9.
- [72] ابن نجيم، زين العابدين بن إبراهيم، الأسماء والنظائر على مذاهب أبي حنيفة لأهل السنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، من 381، 400 هـ.
- [73] الخطيب البغدادي، التقية والسقفة، 69/2.
- [74] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، 80/2.
- [75] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م، من 266، 1975م.
- [76] ابن قيم، مجموع الفتاوى، 69/30.
- [77] ابن حزم، علي بن أحمد، التقریب بعد المنطق، تحقيق: إسماعيل جيلس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، من 194.
- [78] ابن قيم، مجموع الفتاوى، 41/33.
- [79] القوطي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة، ط1، 205/11، 1994م.
- [80] الصنعاني، محمد بن إسماعيل، سبل السلام، تحقيق: محمد عبدالعزیز الخولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 90/2.
- [81] ابن قيم، مجموع الفتاوى، 345/3، 1379 هـ.
- [82] الذهبي، سير أعلام النبلاء، 271/5، وقال عنه: "حافظ العصر، نخوة المفسرين والمحدثين".
- [83] ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد، ثم للكتب وكلمه، تحقيق: محمد حسان، دار السنابل، دمشق، ط1، ص50.
- [84] عن أبي بكره ﷺ قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَلَا لَيْتَكُمْ بِالْخَيْرِ الْكَبِيرِ، ثَلَاثًا: الْإِسْرَافُ بِأَهْلِهِ، وَغَوَى الْوَلَدَيْنِ، وَتَهَادُّ الزُّوْر، أَوْ قَوْلُ الزُّوْر، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكْنًا فَجَمَسَ، فَتَرَكَ يَكْرُمًا حَتَّى قَلْنَا لَيْتَ مَكْنًا، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2654) ومسلم (172).
- [85] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (3573) عَنْ أَبِي وَبَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي إِرْوَاهُ الْغُلِيِّ 237/8 (2614).
- [86] ابن قيم، حراي، أحمد، الجواب المسحاح لمن يدل دين المسيح، تحقيق: علي السيد صبح، مطبعة المدني، القاهرة، 108/1، 1964م.
- [87] ابن عسكرو، علي بن الحسن، تبين كتب المفسرين، من 29.
- [88] ابن قيم، مجموع الفتاوى، 180/12.
- [89] الذهبي، سير أعلام النبلاء، 108/31.
- [90] رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (3348) وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْ وَرِثَتِهِ فَذَهَبِي.
- [91] السلمي، أبو عبدالرحمن، أدب الصحابة، تحقيق: مجدي السيد، دار الصحابة، طنطا، ط1، من 21، 410 هـ.
- [92] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الوابل السعيد، تحقيق: خالد طوطوسي، دار الكتب العربية، بيروت، من 52، 2005م.